



فروع من الشجرة الملعونة في القرآن (10 – 12)

بقلم: رائف محمد الويشي

20 مايو 2013

ذكرنا في الحلقة الأولى من هذه الدراسة أننا نعاني - كشعوب إسلامية - من تاريخ كتبه الطغاة لخدمة أجنداتهم السياسية ، ومن ضمن هذا الذي أخفوه عنا - رغم تواجده في أمهات الكتب المعتبرة عند القوم - هو الأحاديث النبوية التي أكدت على أن بني أمية هم الشجرة الملعونة في القرآن ، وقد ذكرنا في الحلقة فكرة عامة عن أسماء فريق الجيل الأول من الأمويين ، كما ذكرنا مع الكثير من تلك الأحاديث النبوية التي تناولت هذا الشأن ..

في الحلقة الثانية قدمنا أحد أهم فروع الشجرة الملعونة في القرآن ، إنه صخر ابن حرب ، الملقب بأبي سفيان ، رأس الكفر وقائد المشركين ، وصاحب أكبر عدد من اللعنات النبوية ، وزعيم الطلقاء الذين أسلموا كرها يوم الفتح ..

في الحلقة الثالثة واصلنا ذكر أسماء أخرى من فريق الطلقاء بالشجرة الملعونة في القرآن ، ولاحظنا تشابههم في السفاح والرذيلة ، واتفقهم على كراهيتهم الشديدة لنبي الإسلام..

في الحلقتين الرابعة والخامسة واصلنا الحديث عن أبناء الطلقاء في الشجرة الملعونة في القرآن ، وتكلمنا عن أهم واحد في أبناء طلقاء بني أمية ، وهو الداوية معاوية الذي أسس للملك العضوض ..

في الحلقة السادسة تكلمنا عن أهم جرائم معاوية ابن أبي سفيان التي ارتكبتها في حق المسلمين ، سواء تلك التي كانت قبل خلافته أو بعد أن تولى الحكم ..

في الحلقة السابعة واصلنا الحديث عن جرائم معاوية ثم ختمنا الحلقة بالحديث عن أحد أزدل فروع الشجرة الملعونة في القرآن وأكثرها دموية ، إنه ابنه يزيد ابن معاوية ..

في الحلقة الثامنة واصلنا الحديث عن يزيد ابن معاوية وعن جريمته التي تعتبر أفدح الجرائم في التاريخ الإسلامي ، فقد قتل جيشه 37 فردا من أبناء النبي (ص) وعلى رأسهم سبط النبي وسيد الشهداء ، وممثل بجنتهم وفصل رؤوسهم ، وما كان لهم نظائر على الأرض ، كما اغتصب جيشه آلاف النساء في حرة المدينة بعد قتل كل الصحابة البدرين بها مع عشرة آلاف مسلم ..

في الحلقة التاسعة واصلنا الحديث عن فروع الشجرة الملعونة في القرآن ، لكن غير الفرع السفيناني ، فقد تحدثنا عن فرع أبي العاص ، وهو الفرع الذي استلم الحكم من الفرع السفيناني ، وظل به حتى إزاحة الأمويين من سدة الخلافة ..

في الحلقة العاشرة اليوم سنواصل الحديث عن فروع الشجرة الملعونة في القرآن ، مركزين الحديث على البيت مرواني من أبناء مروان ابن الحكم ، وذلك حتى نهاية خلافة الشجرة الملعونة في القرآن في عام 132 هـ ..

تولى عبد الملك ابن مروان الحكم مباشرة بعد موت أبيه الحكم ابن أبي العاص ، وقد أمضى في الحكم مدة عشرين عاما ، أي أنه توفي في عام 86 هـ ..

من الممكن أن يأخذ المسامون درسا كبيرا من الفتنة التي وقع فيها عبد الملك ابن مروان ، بل هو النموذج المثالي للفتنة ، فقد كان تقيا عابدا عالما في أثناء إقامته بالمدينة عندما كان يتولى أمرها عبد الله بن الزبير ..

قال ابن سعد - توفي في عام 230 هـ - في الطبقات الكبرى ، وكذلك جلال الدين السيوطي (توفي في عام 911 هـ) في تاريخ الخلفاء أن عبد الله ابن عمر سئل وهو في المدينة : أرأيت إذا تفتاني أصحاب رسول الله من نساءل ؟ فأجابهم : سلوا هذا الفتى : وأشار إلى عبد الملك ..

ذكر السيوطي - توفي في عام 911 هـ في تاريخ الخلفاء (ص 216) عن عبد الملك ابن مروان ما يلي :
" كان عابدا زاهدا ناسكا في المدينة قبل الخلافة " ..

ذكر ابن كثير - توفي في 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 9 ص 76) ما يلي :
" قال نافع لقد رأيت المدينة وما فيها شاب أشد تشميراً ولا أفقه ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان ، وقال الأعمش عن أبي الزناد : كان فقهاء المدينة أربعة سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وقبيصة بن ذؤيب ، وعبد الملك بن مروان قبل أن يدخل في الإمارة " ..

قال ابن سعد - توفي في عام 230 هـ - في الطبقات الكبرى (ج 4 / 174) أن عبد الملك كان ضمن من أخرج من المدينة يوم الحرة حين خرجت المدينة على يزيد بن معاوية وطردت منها الموالين لبني أمية في شهر ذي الحجة من عام 63 هـ (أغسطس 683 م) ، وحين دخلها جيش يزيد واستباحها ثلاثة أيام خرّ عبد الملك ساجدا ...

ما الذي حدث كي يتحول عبد الملك - هذا الفقيه العابد - إلى شخصية معاكسة !؟

تكاد عبارة اللورد البريطاني أكتون Acton - توفي في عام 1902 - الشهيرة " السلطة المطلقة مفسدة مطلقة " تبدو وكأنها قيلت في حق عبد الملك ابن مروان والذي يعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية (بعد معاوية ابن أبي سفيان) بسبب جهوده في تقوية عرش بنا أمية ، ويطلق عليه أبو الملوك لأن أربعة من أبنائه قد اعتلوا عرش الملك من بعده (الوليد - سليمان - يزيد - هشام) ، وقد تولى الحكم في رمضان عام 65 هـ (685 م) وهو في عمر يبلغ 41 عاما ، وتوفي في عام 86 هـ (705 م) عن عمر يبلغ 61 عاما..

أورد الطبري - توفي في عام 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 7 ص 102) ، أنه لما بُويع عبد الملك ابن مروان ليكون خليفة للمسلمين كان في حجره مصحف فأغلقه وقال " هذا فراق بيني وبينك " ..

قال ابن الأثير - توفي في 630 هـ - في الكامل في التاريخ (ج 3 ص 522) عن أم الدرداء أنها قالت لعبد الملك ابن مروان ما يلي :
" بلغني يا أمير المؤمنين أنك شربت الطلاء بعد النسك والعبادة ؟ قال : إي والله والدماء قد شربتها " ..

كما أورد السيوطي - توفي في عام 911 هـ - في تاريخ الخلفاء (ص 215) أن عبد الملك بن مروان وقف على منبر رسول الله في المدينة ليعلن أنه لا يعبا برضا الناس أو حبهم له فقال ما يلي : " يا معشر قريش ، إنكم لا تحبوننا أبدا ، وأنتم تذكرون يوم الحرة ، ونحن لا نحبيكم أبدا ، ونحن نذكر مقتل عثمان " ..

ذكر ابن عبد ربه - توفي في عام 328 هـ - في العقد الفريد (4 / 178) ، والسيوطي في نفس المصدر (218 / 219) ، أن عبد الملك جدد من على المنبر في خطبة شهيرة له في عام 75 هـ سياسته وقال :
" أما بعد ، فلست بالخليفة المستضعف (يقصد عثمان) ، ولا بالخليفة المداهن (يقصد معاوية) ، ولا بالخليفة المأفون (يقصد يزيد) ، ألا إني لا أداوى أدواء هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم ، ألا إن الجامعة (قيد بسلاسل حديدية يجمع اليدين والقدمين والعنق) التي جعلتها في عنق عمرو ابن سعيد عندي ، والله لا يفعل أحد فعله إلا جعلتها في عنقه ، والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقام هذا إلا ضربت عنقه " ، ثم نزل ..

قال ابن كثير - توفي في 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 9 ص 81) أن الناس قد قالوا لسعيد بن المسيب ما يلي : " إن عبد الملك بن مروان قال : قد صرت لا أفرح بالحسنة أعملها ، ولا أحزن على السيئة أرتكبها ، فقال سعيد: الآن تكامل موت قلبه " ..

عبد الملك يأمر المسلمين بالحج إلى بيت المقدس بدلا من البيت الحرام :
ذكر المؤرخ اليعقوبي - توفي في عام 284 هـ - في تاريخه (ج 2 / ص 261) ، وابن كثير - توفي في عام 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 8 / 308) ما يلي :

" ومنع عبد الملك أهل الشام من الحج ، وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجوا بالبيعة ، فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة ، فضج الناس ، وقالوا : تمنعنا من حج بيت الله الحرام ، وهو فرض من الله علينا ! فقال لهم : هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله قال : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي ، ومسجد بيت المقدس ، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام ، وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها ، لما صعد إلى السماء ، تقوم لكم مقام الكعبة ، فبني على الصخرة قبة ، وعلق عليها ستور الديباج ، وأقام لها سدنة ، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة ، وأقام بذلك أيام بني أمية ، وتحامل عبد الله بن الزبير على بني هاشم تحاملا شديدا ، وأظهر لهم العداوة والبغضاء ، حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمد في خطبته ، فقيل له : لم تركت الصلاة على النبي ؟ فقال : إن له أهل سوء يشربون لذكراه ، ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به " ..

الحجاج ابن يوسف الثقفي ، زعيم القتل بلا سبب في تاريخ المسلمين:

كان الحجاج الثقفي من أهم دعائم الحكم في عهد عبد الملك بن مروان ، فقد ولد بمنازل ثقيف بالطائف في عام 41 هـ ولما صار شابا تحت حكم عبد الله بن الزبير غادرها إلى الشام وعمل هناك مخبرا في جهاز شرطة عبد الملك ، كان الجهاز يعانى من فوضى عارمة ، أظهر الحجاج مهارات فريدة في العمل وفرض الانضباط فذاع صيته ، وسرعان ما تولى إدارة الجهاز في دمشق وكان من الطبيعي أن يتعرف عليه عبد الملك .. كان الحجاج أول من قام بتجنيد رجال الشام لمواجهة ثورة عبد الله بن الزبير ..

ذكر المسعودي - توفي في 346 هـ - في مروج الذهب (ج 3 / 170) ، والسيوطي - توفي في 911 هـ - في تاريخ الخلفاء (ص 220) يوصى عبد الملك بن مروان وهو على فراش الموت ابنه الوليد ابن عبد الملك بالحجاج خيرا كما يلي :
" وأنظر إلى الحجاج فأكرمه فهو الذي وطأ لكم المناير ، وهو سيفك يا وليد ويدك على من ناوأك ، فلا تسمعن فيه قول أحد ، أنت إليه أحوج منه إليك ، وادع الناس إذا ما مت إلى البيعة ، فمن قال برأسه هكذا (أي لا) ، فقل بسيفك هكذا (وأشار إلى العنق) " ..

ويضيف المسعودي - توفي في عام 346 هـ - في مروج الذهب (ج 3 ص 99) ما يلي :
" كان لعبد الملك إقدام على الدماء ، وكان لعماله إقدام على مذهبه ، كالحجاج الثقفي في العراق ، والمهلب بخراسان ، وهشام ابن إسماعيل بالمدينة وغيرهم ، وكان الحجاج من أظلمهم وأسفكهم للدماء " ..

قال الجاحظ - توفي في عام 255 هـ - في رسائله (ص 297) ، ابن الأثير - توفي في عام 630 هـ - في العقد الفريد (ج 3 ص 355) ، والمقرئزي - توفي في عام 845 هـ - في النزاع والتخاصم (ص 27) أن الحجاج كان يخاطب الله أمام الجماهير الحاشدة قائلا : " أرسولك أفضل أم خليفتك ، يعني أن عبد الملك أفضل من النبي (ص) ! " ..

قال ابن عساکر في تاريخ مدينة دمشق (ج 12 ص 157) أن الحجاج ترك وصية له عند موته قال فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الحجاج بن يوسف : " أوصى بأنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه لا يعرف إلا طاعة الوليد بن عبد الملك ، عليها يحيا وعليها يموت وعليها يبعث " ..

ويقول ابن أبي حديد - توفي في عام 656 هـ - في شرح نهج البلاغة (ج 15 ص 242) أن الحجاج كان ينقم على الذين يزورون قبر رسول الله (ص) ويقول : " تبا لهم ، إنما يطوفون بأعواد ورمة بالية ، هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك ، ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله ؟! " ..

أمر عبد الملك بأن يتولى الحجاج الثقفي إمارة مكة وبقي في عمله حتى عام 75 حيث كثرت شكاوى الناس فيه ، فنقله عبد الملك إلى العراق واتخذ من الكوفة مقرا لحكمه ، فبدأ عمله بأن أمر الناس بالاجتماع في المسجد ، ثم دخل عليهم ملثماً بعمامة حمراء ، وأعتلى المنبر فجلس وأصبعه على فمه ناظراً إلى الناس ، فلما ضجوا من سكوته خلع عمامته فجأة وقال خطبته المشهورة التي بدأها بقوله :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوننى

كان الحجاج يطوف بكل مدن العراق ويخطب مهتدا كل من يخالفه بالقتل ، ونذكر من تلك الخطب جملته المشهورة في الناس " إني أرى رؤوسا أئبعت وحان قطفها " ، ونذكر قوله من على المنبر " والله لا أمر أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد ، فيخرج من الباب الذي يليه إلا ضربت عنقه " ، وقد لقبه المؤرخون بالمبيد وقالوا أنه أسرف في القتل والتعذيب ..

كان الحجاج وضيعا دون نسب من ثقيف ، ولما زاع صيته عند الأمويين زوجه بهند بنت النعمان ذات الحسب والنسب ، وكانت سيدة كبيرة في العمر ، لكن الهدف لم يكن إلا لكسب هذا النسب بالزواج به ، وهي كانت مرغما على ذلك .. دخل الحجاج يوما على هند في غرفتها ، فسمعها وهي تقول :
وما هند إلا مهرة عربية ... سلالة أفراس تحلها بغل
فإن ولدت فحلا فله درها ... وإن ولدت بغلا فجاء به البغل

يقول الذهبي – توفى في عام 748 هـ - في تاريخ الخلفاء (ص 86) ما يلي :
" لو لم يكن من مساوي عبد الملك إلا الحجاج وتوليته إياه على المسلمين وعلى الصحابة رضي الله عنهم يُهينهم ويُذلهم قتلا وضربا وشتما وحبسا ، وقد قتل من الصحابة وأكابر التابعين مالا يُحصى فضلا عن غيرهم ، وختم في عنق أنس وغيره من الصحابة ختما يريد بذلك ذلهم ، فلا رحمه الله ولا عفا عنه " ..

قال ابن كثير – توفى في عام 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 9 ص 138) عن الحجاج الثقفي ما يلي :
" وكانت فيه شهامة عظيمة ، وفي سيفه رهق ، وكان كثير قتل النفوس التي حرمها الله بأدنى شبهة ، وكان يغضب غضب الملوك " ..

قال الترمذي – توفى في عام 279 هـ - في سننه (ج 4 ص 433) عن هشام ابن حسان أنه قال عن الحجاج الثقفي ما يلي :
" أَحْصُوا مَا قَتَلَ الْحَجَّاجُ صَبْرًا فَبَلَغَ مِائَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ " ..

قال ابن عساکر – توفى في عام 571 هـ - في تاريخ مدينة دمشق (ج 12 ص 185) عن الحجاج ما يلي :
" كان مضيعا للصلوات ، مفرطا فيها ، لا يصلحها لوقتها " ..

(**ملاحظتان : الملاحظة الأولى** : ولد الحجاج بن يوسف الثقفي في الطائف من قبيلة ثقيف في عام 40 هـ وتوفى في العشر الأخيرة من رمضان من عام 95 هـ ، بدأ حياته كمعلم للقرآن في ثقيف ثم انتقل إلى الشام وعمل في جهاز شرطة الأمويين وترقى سريعا نظرا لموالاته لهم ، تولى الحجاز ومكة في عام 75 هـ ثم تولى الكوفة وبقى بها عشرين عاما إلى أن مات ، كان الحجاج هو اليد الطولي للأمويين وسندهم ، مات في سجنه عشرينات الألوف من الرجال والنساء - كما ذكرنا - وكان الكثير منهم يقبع في السجون عرايا كما كان يفعل هتلر في بعض اليهود ..
قال ابن عبد ربه في العقد الفريد أن أسماء بنت أبي بكر (والدة عبد الله بن الزبير) قالت له : سمعنا رسول الله يقول أنه يخرج من ثقيف رجلا ، الكذاب والمبير ، وأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير (أي المبيد والمسرف في قتل الناس) فلا أظنه سواك ..
الملاحظة الثانية : يلاحظ التشابه الشديد بين زواج أبي هريرة وزواج الحجاج ، فكلاهما أتى الأمويون به وزوجه من بنت الحسب لسد عقدة النقصان المتفاقمة عنده وتسخيره لخدمتهم) ..

توفى عبد الملك بن مروان في منتصف شوال 86 هـ (أكتوبر 705 م) عن عمر يبلغ 61 عاما بعد أن أمضى في الحكم مدة عشرين عاما ، لكنه على فراش الموت يوصى ابنه الوليد ابن عبد الملك بوصيته الأخيرة والتي تعتبر تحفيضا على القتل والبطش بكل من يقف في طريق الحاكم الجديد ..

ذكر ابن كثير - توفى في عام 279 هـ - في البداية والنهاية (ج 9 ص 71) ، والمسعودي – توفى في عام 346 هـ - في مروج الذهب (ج 3 ص 170) أن الوليد ابن عبد الملك بكى عندما كان يسمع وصية والده على فراش الموت فما كان من عبد الملك – والده المشرف على الموت ! – إلا أن نهره لما رأى فيه من ضعف ، فقال " يا هذا ، أحنين حمامة ؟ (نص ابن كثير يقول : أحنن حنين الجارية والأمة) إذا مت فشمروا وترروا والبسوا جلد النمر وضع سيفك على عاتقك ، فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه ، ومن سكت مات بدائه " ..

الوليد ابن عبد الملك

لم يُخيب الملك الجديد الوليد ابن عبد الملك ظن والده فيه ، فقد عمل بوصيته على الوجه الأكمل ، فبث الرعب في نفوس الناس ، وأزاح من طريقه كل من خالفه ..

تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة (شوال 86 هـ / جمادى الآخرة 96 هـ) وكان عمره يبلغ 36 عاما ، واستمر حكمه حتى جمادى الآخرة عام 96 هـ ، أي أنه أمضى مدة عشر سنوات في حكمه ، ورحل وعمر 46 عاما ..

قال ابن الأثير – توفى في عام 630 هـ - في الكامل في التاريخ (ج 5 ص 280) عن الوليد ابن عبد الملك ما يلي :
" أما الوليد فكان فاجرا ماجنا فاسقا، حتى اشتهر بلقب خليع بني أمية ، بسبب ولعه بالنساء وحتى اتهم الجنسي بأمهات أولاد أبيه، وحتى أن رأسه - بعد أن طيف بها على رمح في دمشق - دفعت إلى أخيه سليمان، فلما نظر إليها قال: بعدا له، أشهد أنه كان شروبا للخمر، ماجنا فاسقا، ولقد راودني في نفسي الفاسق " ..

ذكر أبو الفرج الأصفهاني – توفى في 356 هـ - في الأغاني (19 / 201) ما يلي :
" لم يكن رجل من ولادة أولاد عبد الملك بن مروان كان أنفس على قومه ولا أحسد لهم من الوليد بن عبد الملك ، فأذن يوماً للناس فدخلوا عليه ، وأذن للشعراء فكان أول من بدر بين يديه عوفيف ..) ، ثم ذكر أنه طرده لأنه مدح غيره بأبيات بليغة " ..

ويصف المسعودي - توفى في عام 346 هـ - في مروج الذهب (ج 3 ص 166) الوليد ابن عبد الملك بأنه كان " جبارا ، عنيدا ، ظلوما ، غشوما ! " ، فقد أضاف على نفسه هالة من القداسة وحرّم على الناس مناقشته ..

كما وقف الوليد ابن عبد الملك يوما خطيبا على المنبر وقال للناس ما يلي :
" إنكم كنتم تكلمون من كان قبلي من الخلفاء بكلام الأكفاء ، وتقولون يا معاوية ، ويا يزيد ، وإني أعاهد الله : لا يكلمني أحد بمثل ذلك إلا أتلفت نفسه ! ، فلعمري إن استخفاف الرعية براعيها سيدعوها إلى الاستخفاف بطاعته والاستهانة بمخالفته " ..

ذكر ابن عساكر – توفى في عام 571 هـ - في تاريخ دمشق (63 / 167) ما يلي :
" أخبرنا ابن عائشة أخبرنا أبي قال : كان الوليد أكبر أولاد عبد الملك ، وكان أبو وأمه يُثرفانه فشبَّ بلا أدب ! وكان دميماً ، وكان إذا مشى تَوَدَّفَ يريد تبختر ، وكان سائل الأنف ، كأنه لحم بلا غضروف " ..

يضيف ابن عساكر في نفس المصدر السابق (12 / 155) ما يؤكد أن الوليد بن عبد الملك كان يشرب الخمر ، فيقول التالي :
" تغدي الحجاج يوماً مع الوليد بن عبد الملك ، فلما انقضى غداهما ، دعاه الوليد إلى شرب النبيذ فقال: يا أمير المؤمنين الحلال ما حللت ، ولكني أنهى عنه أهل عملي ، وأكره أن أخالف " ..

يقول الذهبي – توفى في عام 748 هـ - في سير أعلام النبلاء (4 / 347) ما يلي :
" بويع بعهد من أبيه ، وكان مترفاً دميماً سائل الأنف، طويلاً ، أسمر ، بوجهه أثر جذري ، في عنفقتة شيب ، يتبختر في مشيه ، وكان قليل العلم ، نهمته في البناء ، أنشأ أيضاً مسجد رسول الله وزخرفه " ..

يذكر الجاحظ – توفى في 255 هـ - في البيان والتبيين (ص 278) ما يؤكد أن الوليد كان يسب ه الإمام على ، فيقول ما يلي :
" سعد المنبر فقال : علي بن أبي طالب لص ابن لص ، صُبَّ عليه شُبوب عذاب !" ..

كانت أبشع الجرائم التي ارتكبتها الوليد بن عبد الملك بن مروان بن أبي العاص بن أمية هي قيامه بدس السم إلى الإمام علي بن الحسين ، وقد رحل الإمام من جراء ذلك في 25 محرم 95 هـ (20 أكتوبر 713 م) ، وله من العمر 57 عاما ..

يغادر الوليد بن عبد الملك الدنيا في عام 96 هـ (715 م) عن عمر يبلغ 46 عاما بعد أن أمضى في الحكم 10 سنوات ، لا ننكر أن الوليد عبد الملك قام بأعمال جيدة على الصعيد الإسلامي ، فهو الذي فرض اللغة العربية على بعض الأمصار الإسلامية ومنها مصر ، إلا أن تلك الأعمال الجيدة لا تبرر مطلقاً ما ارتكبه من جرائم ..

سليمان ابن عبد الملك

تولى شقيقه سليمان ابن عبد الملك الخلافة بعد وفاة أخيه الوليد ابن عبد الملك ، وذلك في جمادى الآخرة عام 96 حتى صفر عام 99 هـ ، أي أنه بقى في الخلافة لمدة سنتين وثمانية أشهر ..

ربما يعتبر سليمان أقل جرما من أخيه الوليد ، وما توافر من معلومات عن هذا الخليفة تؤكد على أنه قد خصص أغلب وقته في تناول الطعام ، فقد ضرب أرقاما قياسية ندر تواجدها على وجه الأرض في حجم الوجبات التي التهمها ، ويبدو أن الطعام قد أهلكه ومات في شبابه بسبب الانسداد الذي أصاب معدته ..

يقول المسعودي – توفى في عام 346 هـ - في مروج الذهب (ج 2 ص) في هذا الشأن ما يلي :

" كان شبعه في كل يوم من الطعام مائة رطل ، وكان يأتيه الطباخون بالدجاج المشوي ، فيضعها في كفه حتى يقبض على الدجاجة وهي حارة فيفصلها ، وخرج يوما من الحمام وهو جائع فاستعجل الطعام ولم يكن قد تجهز بعد فقدموا إليه عشرين خروفا فأكل أجوافها كلها مع أربعين رقاقة ثم قدموا له الطعام فأكله كأنه لم يأكل شيئا " ..

عمر ابن عبد العزيز

يعد استخلاف عمر ابن عبد العزيز أحد أفضل ما فعله سليمان بن عبد الملك ، فلما مات سليمان في عام 99 هـ عن عمر يبلغ عاما ، تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ..

كان عصر الخلافة في عهد عمر ابن عبد العزيز أفضل العصور في عهد الأمويين منذ خلافتهم الأولى في عهد معاوية في ربيع الأول عام 41 هـ ، فقد أعاد بعض الحقوق المغتصبة من أهل البيت وبدأ في تدوين الحديث الذين كان ممنوعا منذ الخلافة الأولى في ع أبي بكر ابن أبي قحافة ، ومات عمر ابن عبد العزيز مسموما في رجب من عام 101 هـ من الأمويين بسبب إصلاحاته بعد أن أمضى في الخلافة مدة تبلغ سنتين وخمسة أشهر ..

يزيد ابن عبد الملك

أمه هي بنت يزيد ابن معاوية ، هو ثالث الخلفاء من أولاد مروان بن الحكم ، كان يزيد وليا للعهد في خلافة أخيه سليمان ، لكنه أثناء عمله في ولاية العهد اشترى جارية تسمى حبابة لنزواته ودفع فيها أربعة آلاف ديناراً من ذهب ، وكان هذا سببا في قيام شقيقه سليمان بطرده من ولاية العهد وتولية عمر ابن عبد العزيز مكانه ..

بعد مقتل عمر ابن عبد العزيز مسموما في رجب 101 هـ قدم الأمويون يزيد ابن عبد الملك ليكون خليفة للمسلمين واستمر حكمه لأربع سنوات لينتهي بكارثة عاطفية (!!) في شعبان 105 هـ ..

يقول السيوطي – توفى في عام 911 هـ - في تاريخ الخلفاء (ص 246) أنه ما أن تولى الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم فملاً خلافته مغاني وشراباً ومجوناً وخلاعة لأربع سنوات قى الحكم حتى أتى بأربعين شيخاً فشهدوا له ما على الخليفة حساب ولا عذاب ..

ربما تحتل قصة عشق الخليفة يزيد ابن عبد الملك والمغنية حبابة مكانا متقدما في قصص العشق المعروفة في عبق التاريخ ، فقد هواها منذ اللحظة الأولى عندما رآها تغنى ، وفصل بسببها من ولاية العهد وظل رغم ذلك متمسكا بها ، وعندما أصبح خليفة لم تفارق حبابة القصر ..

قال المؤرخون أنه يوم كان يلعب معها في الحديقة برمي حبات الرمان (وقيل العنب) في فمها ، فسدت واحدة منها الحلق فماتت خنقا ، فنقل جثمانها إلى غرفة القصر وظل يبكي أمامها لثلاثة أيام حتى فاحت ريحتها ، ولما نقل الحرس جثتها ذهب إلى القبر ونبشه ليرى وجهها ، وظل يبكي حتى مات بعد خمسة عشر يوما ..

يقول المسعودي – توفي في عام 346 هـ - في مروج الذهب (ج 3 ص 131 / 134) في هذا الشأن ما يلي :
" إنه كان يغلب على يزيد بن عبد الملك حب جارية يقال لها سلامة القس ، وكانت لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري . فاشتراها يزيد بثلاثة آلاف دينار . فأعجب بها وغلبت على أمره ، فاحتالت أم سعيد العثمانية - جدته - بشراء جارية يقال لها حبابة ، وقد كان في نفس يزيد بن عبد الملك قديما منها شيء ، فغلبت عليه ووهب سلامة لام سعيد ، فعذله مسلمة بن عبد الملك لما عم الناس من الظلم والجور باحتجابه وإقباله على الشرب واللهو ... فأظهر الإقلاع والندم ، فغلظ ذلك على حبابة فبعث إلى الاحوص الشاعر ومبعد المغني : أنظرا ما أنتما صانعان ، فقال له الشاعر الأحوص ما يؤلى :
ألا لا تلمه اليوم إن يتبلدا * فقد غلب المحزون إن يتجلدا
إذا كنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فكن حجرا من بابس الصخر جدا
فما العيش إلا ما تلذ وتشتهي * وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

وغناه معبد وأخذته حبابه فلما دخل عليها يزيد قالت - يا أمير المؤمنين - اسمع مني صوتا واحدا ، ثم افعل ما بدا لك . وغنته ، فلما فرغت منه جعل يردد قولها
فما العيش إلا ما تلذ وتشتهي * وعاد بعد ذلك إلى لهوه " ..

يقول العلامة الحنبلي المذهب محمد بن أحمد السفاريني في غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (ج 4 ص 180) عن يزيد ابن عبد الملك وعاشقته ما يلي :

" كان شديد الكبر صاحب لهو ولذات ، وصاحب حبابة وسلامة ، وهما جاريتان شغف بهما ، وماتت حبابة فمات بعدها بيسير أسفا عليها ، قال : ولما ماتت تركها أياما لم يدفنها وعوتب في ذلك فدفنها ، وقيل إنه دفنها ثم نبشها بعد الدفن ، وكان يسمى يزيد الماجن . قال وفيه قال المختار الخارجي حين ذم بني أمية في خطبة له معروفة منهم يزيد الفاسق يضع حبابة عن يمينه وسلامة عن يساره ثم يشرب إلى أن يسكر ويغنيانه فيطرب ثم يشق حلة ضربت في نسجها الأبخار ، وهتكت فيها الأستار ، ثم يقول : أطير أطير ، فيقولان : إلى من تترك الخلافة ؟ فيقول إليكما ، وإني أقول له طر إلى لعنة الله وناره " ..

هشام ابن عبد الملك

تولى شقيقه هشام بن عبد الملك – ولد في عام 72 هـ في شعبان عام 105 هـ (724 م) لمدة عشرين عاما ، أي حتى العام 125 هـ (743) ، ورحل وعمره 53 عاما ..

كانت أركان الدولة في عهد هشام تهزها النزاعات الداخلية بقيادة العباسيين والخوارج على ما يفعله بنو أمية ، كما كانت أيضا النزاعات الخارجية قد سنحت لها بعض الفرص بسبب ما يبدو عليه الحكم المركزي من انغماس في الملمات والفساد ..

يروى المسعودي – توفي في عام 346 هـ - في مروج الذهب (3 / 205) أن الناس في عهد هشام بن عبد الملك قد أخذوا يسلكون سلوكه ، فقد كان شديد البخل ، فمنعوا ما في أيديهم ، فقلت الأفضال وانقطع الرفد ، ولم ير زمان أصعب من زمانه ..

كما أورد سيد أمير عليّ – توفي في عام 1928 م - في مختصر تاريخ العرب (ص 139) أن هشام بن عبد الملك كان شديد الشك فيمن يعمل معه ، فقتل الكثير من خيرة رجالة وأمر بتتحية آخرين ..

قال ابن خلكان – توفي في عام 681 هـ - في وفيات الأعيان (ج 1 ص 310 / 302) أن هشام ابن عبد الملك كتب رسالة إلى الأعمش (أستاذ الثوري) وقال له فيها ما يلي : " اكتب مناقب عثمان ومساوي علي ! " ، فأخذ الأعمش القرطاس وأدخلها في فم شاة فلاكتها ، وقال للرسول : " قل له: هذا جوابك " ..

(ملاحظة : ابن خلكان هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان ، ولد في أربيل بالعراق في عام 608 هـ ، ويعد كتابه وفيات الأعيان من أفضل كتب التراجم من حيث الضبط ، توفي القضاء بالشام ، ومات في دمشق في عام 681 هـ) ..

الوليد ابن يزيد

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي ، يكنى أبا العباس ، وأمّه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي ، وهي بنت أخي الحجاج بن يوسف ، وأم أبيه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ..

كان الوليد ابن يزيد ابن عبد الملك ابن مروان ولياً للعهد في خلافة هشام ابن عبد الملك ، فلما توفي هشام تولى الوليد في ربيع الآخرة 125 هـ ..

وقد ولد في عام 88 هـ ، وبقي في الحكم لمدة عام وشهرين ، وقد قتله جنوده أثناء الحرب التي كانت بينه وبين ابن عمه ، ورحل في عمر يبلغ 38 عاماً ..

لم يبلغ أحد من الأمويين ما بلغه هذا اللعين في الفسق حتى أطلق عليه العلماء " خليع بني أمية " ، صحيح أن جدوده خطفوا الخلافة من أصحابها وقتلوا أهل البيت ومثلوا بجثث بعضهم ، وقتلوا أيضاً مئات الآلاف من المسلمين ظلماً ، لكن على المستوى الشخصي يحتل هذا اللعين الرقم الأعلى ، فهو متهم باغتصاب ابنته ، ومزاولة الجنس مع زوجات أبيه ، ومراودة شقيقه عن نفسه ..

يقول أبو الفرج الأصفهاني – توفي في عام 356 هـ - في الأغاني (ج 6 ص 99 / 106) في الوليد ابن يزيد ابن عبد الملك ابن مروان ابن الحكم ابن أبي العاص ابن أمية ابن عبد شمس ما يلي :
" أنه كان فاسقاً خليعاً متهماً في دينه مرمياً بالزندقة ، وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقتل ، وله أشعار تدل على خبثه وكفره " ..

يقول الطبري – توفي في عام 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (7 / 210 ، 231 ، 246 ، 251) ، وابن الجوزي – توفي في عام 597 هـ - في المنتظم (7 / 236 ، 249) ، والسيوطي – توفي في عام 911 هـ - في تاريخ الخلفاء (ص 399) أن الوليد قد تمرس على سنة أبيه في الانحلال الخلقي ، فوصفوه بأنه كان فاسقاً شارباً للخمر منتهاكاً للحرمان ، وأنه كان ينام مع زوجات أبيه - أمهات أخوته !! - وأنه أراد أن يحج ليشرب فوق ظهر الكعبة ، فمقتته الناس لفسقه وثارت عليه قبائل اليمن لقتله زعيمهم خالد القسري ، وانتهت الثورة بقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك عام 126 ، ورأى أخوه سليمان بن يزيد رأسه مقطوعاً يُطاف به على رمح فقال : أشهد إنه كان شروباً للخمر ماجناً فاسقاً ، ولقد راودني عن نفسي ، وقيل أنه عزم على أن يبني أعلى الكعبة في بيت الله الحرام قبة يشرب فيها الخمر ، ويشرف منها سكران منتشياً على الطائفين ..

يقول المسعودي – توفي في عام 346 هـ - في مروج الذهب (ج 3 ص 228 / 229) أن الخليفة الوليد حاول نصب قبة فوق الكعبة ليشرب الخمر فيها هو ورفاقه أثناء الحج ، ولكن حاشيته أقنعوه ألا يفعل ، وفي تلوطه راود أخاه عن نفسه ..

الوليد ابن يزيد يمزق المصحف لأن القرآن يتوعد الظالمين

ذكر المسعودي – توفي في عام 346 هـ - في مروج الذهب (ج 2 ص 199) ، وأبو الفرج الأصفهاني – توفي في عام 356 هـ - في الأغاني (ج 6 ص 125) ، ابن الأثير – توفي في عام 630 هـ - في الكامل في التاريخ (ج 5 ص 290) ، والقرطبي – توفي في عام 671 هـ - في تفسيره (ص 1896) بخصوص هذا الشأن بألفاظ متشابهة ما يلي :
" ومما شهر عنه أنه فتح المصحف فخرج : واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد (إبراهيم : 15) فألقاه ورماه بالسهم وقال : تهددني بجبار عنيدٍ فما أنا ذاك جبار عنيد إذا ما جئت ربك يوم حشرٍ فقل يا رب مزقني الوليد " ..

قال ابن عبد ربه - توفي في عام 328 هـ - في العقد الفريد (ج 3 ص 161) عن إسحاق ابن محمد الأزرق أنه قال في أسباب قتل يزيد ابن الوليد ما يلي :

" دخلت على منصور بن جهور الازدي - بعد قتل الوليد ابن يزيد - وعنده جاريتان من جواري الوليد ، فقال لي : اسمع من هاتين الجاريتين ما يقولان ، قالتا قد حدثناك !! قال حدثناه كما حدثتmani ، قالت إحداهما : كنا أعز جواريه عندهن ، فنكح هذه وجاء المؤذنون يؤذونه بالصلاة ، فأخرجها - وهي سكري جنبه - مثلثة فصلت بالناس " ..

(ملاحظة : هذه كتب القوم المعتبرة تنطق بما جرى من وقائع يندى لها الجبين ، خليفة المسلمين يسكر حتى الفجر ، ويصعب عليه الخروج ليؤم الناس ، فيأمر عشيقته السكري وهي جنباً أن ترتدي ملابسه وتتلمم لإخفاء وجهها وتصلى بالناس إماماً بدلاً منه !!) ..

بايع الناس سرا يزيد بن الوليد بن عبد الملك فنادي بخلع الوليد ، وكان غائباً عن دمشق ففاجأه النبأ ، وقصده جمع من أصحاب يزيد فقتلوه وعمره 38 عاما في قصر النعمان بن بشير بالبخراء (تدمر) وكان قد لجأ إليه ، حمل رأسه إلى دمشق فنصب بالجامع ..

يزيد ابن الوليد

تولى يزيد بن الوليد بن عبد الملك الخلافة (جمادى الآخرة 126 هـ / ذي الحجة 126 هـ) ، وقد ولد في عام 86 هـ وبقي ستة أشهر في الحكم ومات بالطاعون وهو في عمر يبلغ 40 عاما ، ولم يعرف عنه فساد بل كان زاهدا ، وكان شقيقه إبراهيم وليا له ..

إبراهيم بن الوليد

تولى إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك (ذي الحجة 126 هـ / صفر 127 هـ) عقب موت شقيقه يزيد ، ولم يبايعه سوى أهل الشام ، فقد اتهمه الأمويون مع أخيه بقتل الوليد بن يزيد ، مكث في الحكم لمدة شهرين ثم تم خلعه ، وقد قتل مع قادة بني أمية عندما استول العباسيون على الحكم ..

مروان ابن محمد

هو آخر ملوك بني أمية في الشرق ، فقد سقطت الدولة الأموية في عهده ، وذلك بعد خمس سنوات من خلافته ، لكنها استمرت في الأندلس حتى سقوط آخر مدنها في عام 1992 م

(ملاحظة : تأسست الدولة الأموية في الأندلس في عام 136 هـ بقيادة عب الرحمن الداخل ، أي بعد ست سنوات من سقوط دولتهم في الشام ، وكانت عاصمتها قرطبة ، وفي عام 323 هـ (935 م) كانت قرطبة أكثر مدن العالم اتساعا ، وقد تفككت في عام 422 هـ (1031 م) وتحولت إلى إمارات صغيرة نتيجة التنافر والافتتال الداخلي ، وسقطت آخر معاقلها هناك في عام 1492 م) ..

تولى ابن عمه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الخلافة (صفر 127 هـ / ذي الحجة 132 هـ) كان مروان حاكما لإقليم أرمينيا وأذربيجان ، ثم قاد جيشا ضخما وزحف به في اتجاه دمشق وتقابل مع جيش إبراهيم بن الوليد واستولى على الخلافة ، كان يلقب بالحمار لشدة صبره.. ولد في عام 72 هـ وبقي في الحكم لمدة ست سنوات حتى انتزعه من العباسيون في عام 132 هـ ، وقتل عقب ذلك ..

تلك هي بعض من معالم الشجرة الملعونة في القرآن ، إنها شجرة الشيطان التي يتبعها الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ونزيد على ما سبق فقرات أخرى من الكتب المعتبرة عند القوم فيما يلي :

يقول الجاحظ - توفي في عام 255 هـ - في التاج في أخلاق الملوك (ص 151 / 154) أن الأمويين لم يكتفوا بشرب الخمر ، بل أسرفوا وأدمنوا وأطلقوا لأنفسهم الشريرة العنان في هذا الضرب من ضروب العبث وما يتصل به من موبقات ، وكان ملوكهم - في الشام

والأندلس - باستثناء عمر بن عبد العزيز - يكثر من شربه حتى بلغ بعضهم في شربه حدا يفوق الوصف فيزيد بن معاوية كان مدمنا ، وكان لا يمسي إلا سكران ولا يصبح إلا مخمورا ، كان عبد الملك بن مروان يسكر في كل شهر مرة حتى لا يعقل في السماء هو أو في الماء . وكان الوليد بن عبد الملك يشرب يوما ويدع يوما . وكان سليمان بن عبد الملك يشرب في كل ثلاث ليل ليلة وكان هشام يسكر في كل جمعة ، وكان يزيد بن الوليد والوليد بن يزيد يدمنان اللهو والشرب ، فأما يزيد بن الوليد فكان دهره بين حالين : سكر وخمار ، ولا يوجد أبدا إلا ومعه إحدى هاتين ، وكان مروان بن محمد يشرب ليلة الثلاثاء وليلة السبت ..

ويضيف الجاحظ في نفس المصدر السابق (ص 151 / 154) ما يلي :

" أن يجعل ندماء طبقات ومراتب ، وأن يخص ويعم ويقرب ويباعد ويرفع ويضع ، وليس من حق الملك أن يبرح مجلسه إلا لقضاء حاجة ... وليس له أن يختار كمية ما يشرب ولا كيفيتها ، إنما هذا إلى الملك ... فلما ملك يزيد بن عبد الملك ساوى بين الطبقة العليا والسفلى من الندماء وأفسد أقسام المراتب ، وغلب عليه اللهو ... وهو أول من شتم في وجهه من الخلفاء على جهة الهزل والسخف " ..

ويقول الجاحظ في نفس المصدر السابق (ص 32) أنه سأل اسحق بن إبراهيم فيما إذا كان ملوك بني أمية يظهرون للندماء والمغنين فقال له اسحق ما يلي:

" أما معاوية بن أبي سفيان ، ومروان بن الحكم ، وعبد الملك بن مروان وسليمان وهشام ، ومروان بن محمد فكان بينهم وبين الندماء ستارة ، وكان لا يظهر أحد من الندماء على ما يفعله الخليفة إذا طرب للمغني والتذة حتى ينقلب ويمشي ويحرك كتفيه ويرقص ويتجرد حتى لا يراه إلا خواص جواريه ... وأما الباقيون من خلفاء بني أمية فلم يكونوا يتحاشون أن يرقصوا ويتجردوا ، ويحضروا عراة بحضرة الندماء والمغنين ، وعلى ذلك لم يكن أحد منهم في مثل حال يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد في المجون والرفث بحضرة الندماء والتجرد ما يباليان ما صنعا " ..

(ملاحظة : لو نظرنا إلى آية 90 في سورة المائدة : " يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر ... رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلمكم تغفلون " فإننا نلاحظ أن الاسم النبوي الذي اختاره النبي لبني أمية - الشجرة الملعونة في القرآن - يطابق تمام أفعالهم في الخمر ، وزد عليها جرائمهم في قتل المسلمين ، وعلى رأسهم أفضل الخلق بعد الأنبياء ، وهم أهل البيت حيث مثلوا بجثثهم الطاهرة ..) ..

في الحلقة القادمة إن شاء الله ، سنتعرف على فرع آخر من فروع الشجرة الملعونة في القرآن ، فإلى لقاء ..

رائف محمد الويشي

سانت لويس - ميزوري - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com